ملخّص ويسألونَ عن الطُفوفِ وأسرارِها... / عبد الحليم الغِزّي
الحلقةُ الخامسةُ والثلاثون
عُرضت الجمعة: ٢٦/صفر/١٤٤٤ - ٢٠٢٢/٩/٢٣ م

رِسالةٌ وصلتني في بدايةِ شهرِ محرَّم، هذهِ الرِّسالةُ وجَّهَها إليَّ مجموعةٌ مِن العديدِ من الهيئاتِ الحُسينيَّةِ والمواكبِ في بعضِ المدن العراقيّة، أعتذرُ عن تأخُّري في إجابةِ سؤالِهم، سؤالُ هذهِ الرِّسالة عن حكايةِ عُرس القاسم، إنَّهُ القاسِمُ بنُ الحسن السبط شهيدُ الطفوف، الطقوس الَّتي تُجرى في المواكبِ والهيئاتِ الحُسينيَّة في العراق وفي دول الخليج ليلة الثامن من شهر مُحرّم وفي اليوم الثامنِ أيضاً مِن شهرِ مُحرّم، معروفٌ هذهِ الليلة وهذا اليوم في الأجواء الحُسينيَّةِ تُزيَّنُ باسم القاسِمِ بنِ الحسن صلواتُ اللهِ وسلامهُ على الحسنِ المجتبى وعلى القاسم الشهيد،
سُؤالٌ يتكرَّر كثيراً: **هل حكايةُ عرس القاسمِ صحيحةٌ، ليست صحيحة؟**
خُطباء المنبر الَّذينَ هُم خطباءُ الحوزةِ الطوسيَّة يتحدَّثونَ عن المصيبةِ لإبكاء الشيعةِ، ولكنَّهم لا يعتقدونَ بحكايةِ عرس القاسم لأنَّ مراجعَ النَّجفِ يُنكِرونها، ومِن هُنا نشأ هذا السؤال.
لكنَّني قبلَ أن أُجيبَ على سؤال الأخوة الأعزّاء، خَاطَبوني في الرِّسالةِ بهذا الخطاب وبهذا الوصف: **"من أنَّني النَّاطقُ عن أهل البيتِ صلواتُ الله عليهم في هذا الزمان"**. أنا لستُ ناطقاً عن أهل البيت، لأنَّ النَّاطِقَ عن أهل البيت يُنَصِّبهُ صاحِبُ الأمر، فصاحِبُ الأمر لم يُنَصِّبني ناطقاً عن أهل البيت، أنا لستُ قادراً أن أُنَصِّبَ نفسي ناطقاً عن أهل البيت وأنتُم أيضاً لستم قادرينَ أن تُنَصِّبوني ناطقاً عن أهل البيت، أنا رَاويةُ حديث العترة الطاهرة، وما أنطقُ بِهِ مِن فهمٍ فإنَّني أنطِقُ عن نفسي وأنطِقُ عن فهمي، ولا أطلبُ مِن أحدٍ أن يلتزمَ بكلامي لأنَّهُ كلامي، إنَّما أقولُ لكم احترموا عُقولَكُم ودَقِّقوا فيما أقول فإذا وجدتموهُ صواباً بِحُكمِ عُقولِكم، بِحُكم وجدَانِكم، بحكم بَصيرَتِكم، فإنَّ الحُجَّة قد قامت عليكم مِن عِندِ أنفُسِكُم وليست من عندي، أنا رَاويةُ حديث أروي حديثهم، ولستُ ناطقاً عن الشيعةِ أيضاً فإنَّ الشيعة هُم شيعة المراجع وأنا لا أنطِقُ عن شيعة المراجع حتَّى لو نَصَّبوني ناطقاً عنهم، الشيعةُ في زماننا شيعةُ المراجع ما هم بشيعةِ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد.
هُناكَ مُلاحظاتٌ لابُدَّ أن أُشيرَ إليها قبلَ أن أشرعَ في الجواب:
الملاحظةُ الأولى: أنا وأنتم على حدٍّ سواء ليسَ لنا من طريقٍ إلى إمامِ زماننا - أتحدَّثُ عن طريقٍ حسيٍّ مُباشر - حتَّى نتمكَّنَ أنْ نسألهُ عن حكايةِ عرس القاسم، نحنُ في زمانِ الغيبة، السؤالُ أساساً يُوجَّهُ إلى إمامِ زماننا، أو إلى الَّذي يُنَصِّبهُ لنا إمامُ زماننا كي نَسأله، إضافةً إلى أنَّنا لا نعلمُ الغَيْب..
الملاحظةُ الثانية: الـمُثْبِتونَ لهذه الحكايةِ لا يملكونَ دليلاً قطعيّاً، والنَّافُونَ أيضاً لهذهِ الحكاية لا يملكونَ دليلاً قطعيَّاً، إذا ما رجعنا إلى كُتبنا القديمة، حينما أقولُ كُتبنا القديمة أتحدَّثُ عن الكُتب الَّتي كُتِبت زمانَ الأَئِمَّةِ صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليهم أجمعين ووصلت إلينا، أتحدَّثُ عن الجوامعِ الحديثيَّةِ الَّتي جُمِعت زمانَ الغَيْبَةِ الأولى، وعن الجوامع الحديثيَّةِ الَّتي جُمعت في بداياتِ الغَيبَة الثانية، هذهِ كُتُبنا القديمة، حين أتحدَّثُ عن أوائل الغيبة الثانية إلى قرنين إلى ثلاثةِ قرون مِن قُرونِ الغَيبةِ الثانية..
لابُدَّ أن نتذكَّرَ؛ مِن أنَّ كُلَّ الكُتبِ ما وصلت إلينا، من أنَّ كُلَّ الأحاديثِ ما وصلت إلينا، من أنَّ كُلَّ المعطياتِ ما وصلت إلينا، فأنا أتحدَّثُ هُنا عن الكُتب القديمةِ الَّتي وصلت إلينا، فإذا لم نَجد ذِكراً لهذهِ الحكايةِ هذا لا يعني أنَّ الواقعةَ لم تَكُن قد وقعت، نحنُ لا نملكُ دليلاً على وقوعها، لكنَّنا في الوقتِ نفسهِ لا نملكُ دليلاً على عدمِ وقوعها، لو كانت كُلُّ الكُتبِ وصلت إلينا وكُلُّ المعطياتِ بأيدينا وما عثرنا على هذهِ الحكايةِ في تِلكَ الكُتبِ وبينَ تِلكَ المعطيات نستطيعُ أن نقولَ مِن أنَّ الواقعةَ ما وقعت، لكنَّنا لا نمتلكُ كُلَّ المعطيات ولم تَكُن الأحاديثُ قد وصلت إلينا بكاملِها وكذلكَ هي الكُتب..
الملاحظةُ الثالثة: في غياب الأدلَّةِ ماذا سنصنع؟ ليسَ هُناكَ مِن أدلَّةٍ مُثْبِتةٍ، وليسَ هُناكَ مِن أدلَّةٍ نافية، فماذا سنصنعُ كي نُشَخِّص موقفنا من هذهِ الواقعة؟ هل نُصَدِّقُ وقوعها أم أنَّنا نرفضُ وقوعها ولا نُصدِّقه؟ سنذهبُ إلى القرائنِ والملابسات، القرائنُ والملابساتُ إذا فَكَّكنَاها بشكلٍ فردي لا تُشكِّلُ دليلاً قطعيَّاً واضحاً، لكنَّها إذا ما جُمِعت مع بعضها فإنَّها تُشَكِّلُ دليلاً، هذا الدليلُ قد يقبلهُ البعض، يرفضهُ البعض، هذا أمرٌ راجعٌ إلى قناعات النَّاس.
هُناكَ مجموعةٌ من القرائنِ والـمُلابسات ترتبطُ بهذهِ الواقعة؛ "بواقعةِ عرس القاسم بن الحسن صلواتُ اللهِ على إمامِنا الحسن الـمُجتبى وعلى القاسم الشَّهيد"، هذهِ القرائنُ والـمُلابساتُ قد تكونُ إيجابيَّةً، قد تكونُ سَلبيَّةً، مُرادي من أنَّها قد تكونُ إيجابيَّةً تُثبِتُ شيئاً، وهذا الإثباتُ يكونُ عامِل تأكيدٍ لصحَّةِ وقوعِ هذهِ الواقعة، وقد تكونُ سلبيَّةً أي أنَّها تنفي شيئاً وهذا النَّفيُ يُساعدُ ويُعِينُ في إثباتِ هذه الواقعة.
أوَّلاً: عدمُ المانع.

عدمُ المانع أساساً في الفلسفةِ يُذكَرُ مِن مُقوّماتِ وجود الشيء، إذا كانَ هُناكَ مِن مانعٍ يَمنعُ تحقُّقَ شيءٍ فذلكَ الشيءُ لا يتحقَّق.
عدمُ المانع يكونُ قرينةً من القرائنِ الَّتي إذا ما جُمعت مع بعضها فإنَّها تُشَكِّلُ دليلاً على وجودِ شيءٍ، على وقوعِ واقعةٍ مُعيَّنة، نحنُ نتحدَّثُ عن حَدَثٍ تَحقَّقَ في كربلاء، وفي يومٍ عاشوراء بالتحديد..
هل هُناكَ مِن بَديهةٍ عقليَّةٍ تمنَعُنا أن نُصَدِّقَ وقوعَ هذهِ الحادثة؟ ليسَ هُناكَ مِن مانعٍ عقليٍّ أبداً، وإذا قالَ أحدٌ هُناكَ مانعٌ عقليٌّ نقولُ لهُ: ما هو هذا المانع العقلي؟ ليسَ هُناكَ مِن مانعٍ عقليٍّ.
وليسَ هُناكَ مِن مانعٍ شرعيٍّ أيضاً، فلا يوجدُ في الشرعِ مِن مانعٍ يمنعُ وقوعَ هذا الأمر.
وليسَ هُناكَ من مانعٍ عمليٍّ أيضاً، المانعُ العمليُّ مثلاً أنْ لا تكونَ العائلةُ الحُسينيَّةُ موجودةً في كربلاء، فحينئذٍ لا نستطيعُ أن نَتصوَّرَ أنَّ عَقدَ قرآنٍ قد تمَّ بينَ القاسمِ وبينَ فتاةٍ تَزوَّجها بنحوٍ رمزي، المانعُ العمليُّ مثلاً أن يكونَ القاسمُ قد استُشهدَ في اليوم السابعِ مِنَ المحرّمِ مثلاً فهو ليسَ موجوداً في اليوم العاشر، المانعُ العمليُّ مثلاً أن لا يكونَ عِندَ الحُسينِ صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه من بناتٍ وإنَّما ذُريَّتهُ أولادٌ ذُكورٌ فقط، هذا المرادُ من المانع العملي، ليسَ هُناكَ من مانعٍ عقليٍّ ولا من مانعٍ شرعيٍّ ولا من مانعٍ عمليٍّ يجعلنا لا نُصَدِّقُ وقوعَ هذهِ الحادثة.
النقطةُ الثانية: نحنُ لا نمتلكُ قاعدةَ معلوماتٍ نستطيعُ أن نعودَ إليها، أتحدَّثُ عن قاعدةٍ كاملةٍ للمعلومات، ما عندنا من المعلوماتِ مُجتزئٌ؛ إنْ كانَ ما جاء في أحاديثنا بخصوصِ عاشوراء، أو كانَ ما جاء في كُتُبِ المقاتلِ والسِّيَر، هذا يجعلنا نرفضُ قولَ المُنكرين على أيِّ أساسٍ أنتُم أنكرتُم؟! فأنتُم لا تمتلكونَ قاعدةَ معلومات، الْمُثبِتونَ أيضاً لا يمتلكونَ قاعدةَ معلومات، إذاً هذهِ القضيَّةُ مُهمَّةٌ جِدّاً لابُدَّ أن تُؤخذَ بنظر الاعتبار، هذا المرادُ أن نَجمعَ القرائنَ والملابسات إنْ كانت مِن النوع الإيجابي أو كانت من النوع السلبي.
النقطةُ الثالثة ستكونُ مِنَ القرائنِ والملابساتِ الإيجابيّة:
عِندنا يَقينٌ على الأقلِّ عِندَ الَّذين يمتلكونَ اطلاعاً واسعاً في حديثِ أهل البيت، عِندنا يَقينٌ هُناكَ الكثيرُ مِنَ المعطياتِ لم تَصلنا، لا أريدُ أن أتحدَّثَ عن كُلِّ المعطياتِ في كُلِّ الموضوعات، ولكنَّني أتحدَّثُ هُنا عن المعطياتِ المرتبطةِ بعاشوراء وما جرى في كربلاء، وسَأُقَرِّبُ لكم هذا المعنى بمثالٍ عملي: ((**زيارةُ النَّاحيةِ المقدَّسة**)).
في الجزء الثامن والتسعين من (بحار الأنوار) للمجلسي، طبعةُ دارِ إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، زيارةُ النَّاحيةِ المقدَّسة ذكرَت لنا وقائعَ لم تُذكر في كُتب المقاتلِ والسِّيَر، حتَّى على المنابرِ فإنَّ المتحدِّثينَ لم يُشيروا إليها، سأذكرُ على سبيل المثال:
الحُسَين صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه داستهُ الخيولُ بحوافرها وهو على قيد الحياة، داستهُ الخيول أيضاً بعدَ قطعِ رأسهِ الشريف ولكن وهو على قيد الحياة هذا الأمرُ لم تَتعرَّض لهُ الأحاديثُ الَّتي وردت عنهم صلواتُ اللهِ عليهم ما قَبلَ زيارة النَّاحيةِ المقدَّسة، أتحدَّثُ عن الأحاديث الَّتي وصلت إلينا، رُبَّما ذُكِرَ هذا الأمر في الأحاديث الَّتي ما وصلت إلينا، وكذلكَ فإنَّ كُتبَ المقاتِل والسِّيَر ما أشارت إلى هذا الأمر، بينما جاء في زيارةِ النَّاحيةِ المقدَّسة:
فَأَحْدَقُوا بِكَ مِن كُلِّ الجِهَات وَأَثْخَنُوكَ بِالجِرَاح وَحَالُوا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الرَّوَاح - إلى أن تقولَ الزيارةُ الشريفة: **حَتَّى نَكَّسُوكَ عَنْ جَوَادِكَ** - أسقطوكَ إلى الأرض - **فَهَوَيْتَ إِلَى الأَرْضِ جَرِيحَاً** - "جَريحاً"؛ يعني حَيَّاً - **تَطَؤُكَ الخُيُولُ بِحَوَافِرِهَا، وَتَعْلُوكَ الطُّغَاةُ بِبَوَاتِرِهَا** - الإمامُ كانَ حيَّاً ولم يُقطَع رأسهُ بعد.
صُورةٌ أخرى تحدَّثت عنها النَّاحيةُ المقدَّسة في هذهِ الزيارةِ الشريفة؛ في كُتب المقاتلِ والسِّيَر هُناكَ حديثٌ عن ذبح الحُسَين وحتَّى حينما يتحدَّثونَ عن نَحرهِ يَتحدَّثونَ عَن نَحرهِ الَّذي هو بمعنى الذبح، هذا موجودٌ في الأشعارِ وعلى ألسنة المتحدِّثين وفي كُتب المقاتِلِ والسِّيَر، بينما زيارةُ النَّاحية فَصَّلت لنا؛ هُناكَ عمليَّةُ نَحْر، وهُناكَ عمليَّةُ ذبح، عمليَّةُ النَّحر تختلفُ عن عمليّة الذبح، ولذا جاء التفصيلُ في زيارة النَّاحية: **"السَّلَامُ عَلَى الْمَنْحُورِ فِي الوَرَى، السَّلَامُ عَلَى مَنْ دَفَنَهُ أَهْلُ القُرَى"**، عمليَّة النَّحر إنَّهُ الطَّعنُ بالرُّمحِ ما بينَ نِهاية الرقبة وبداية الصدر، هذا هو النحر، بينما الذبح يكونُ في أعلى الرقبة، الذبح يكونُ عِندَ الحلق، فالحُسينُ نَحروه ثُمَّ ذبحوه - **السَّلَامُ عَلَى الْمَنْحُورِ فِي الوَرَى، السَّلَامُ عَلَى مَنْ دَفَنَهُ أَهْلُ القُرَى.**
ثُمَّ تقول الزيارةُ: **السَّلَامُ عَلَى الْمَقْطُوعِ الوَتِين** - إنَّهُ الشريانُ الأكبر، هذهِ عمليَّةُ ذبح عِندَ الحلق، كُتب المقاتلِ تَخلُطُ بينَ النَّحرِ والذبح، الزيارةُ تُفَصِّل.
صورةٌ ثالثة لم تتعرَّض لها كُتبُ المقاتلِ والسِّيَر: **وَسُبِيَ أَهْلُكَ كَالْعَبِيد وَصُفِّدُوا فِي الحَدِيد فَوْقَ أَقْتَابِ الْمَطِيَّات تَلْفَحُ وُجُوهَهُم حَرُّ الهَاجِرَات** - الهَاجِرات أيَّامُ الصيف وتحديداً أيَّامُ تمّوز - **يُسَاقُونَ فِي البَرَارِي وَالفَلَوَات أَيْدِيهِم مَغْلُولَةٌ إِلَى الأَعْنَاق يُطَافُ بِهِم فِي الأَسْوَاق** - يُطَافُ بِهِم فِي الأَسْوَاق ما المرادُ من هذهِ العبارة؟ هذهِ مُهرجاناتٌ للتسوّق بحسبِ ذلكَ الزمان لا تكونُ في المدن، وإنَّما تكونُ خارجَ المدن، تكونُ عِندَ الواحات، عِندَ المناهل، المناهل هي الَّتي يُصطَلحُ عليها في زماننا الواحات، فتأتي القوافلُ التجاريّةُ من مُختلف البِقاع يَعرِضونَ البضائع وتُعقدُ مُهرجاناتُ التسوّق، هذا لم يُذكَر في كُتُبِ السِّيَر والمقاتل، زيارةُ النَّاحيةِ تحدَّثت عنه.

العقيلةُ في خُطبتها في قصرِ يزيد تحدَّثت بهذا:
في الجزء الخامس والأربعين من (بحار الأنوار) للمجلسي، طبعةُ دارِ إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، العقيلةُ تُخاطِب يزيدَ لَعنهُ الله: **أَمِنَ العَدْلِ يَا ابْنَ الطُّلَقَاء تَخْدِيرُكَ حَرَائِرَكَ وَإِمَاءَكَ وَسَوْقُكَ بَنَاتِ رَسُول الله سَبَايا قَدْ هُتِكَت سُتُورَهُنّ أو قَدْ هَتَكْتَ سُتُورَهُنّ وَأَبْدِيَت وُجُوهَهُنَّ تَحْدُو بِهِنَّ الأَعْدَاء مِن بَلَدٍ إِلَى بَلَد** - مِن مدينةٍ إلى مدينة - **وَيَسْتَشْرِفُهُنَّ أَهْلُ الْمَنَاهِلِ وَالْمَنَاقِل** - هؤلاءِ يكونونَ خارجَ المدن، هؤلاءِ هُم أهلُ الأسواق، المَناقِلُ الّتي تلتقي فيها القوافلُ التجاريّةُ حيثُ تُعقَدُ مهرجانات التسوّق، وهُناكَ يَجتمعُ النَّاسُ مِن كُلِّ مكان مِن مُختلفِ القبائلِ، مِن مُختلف القرى، مِن مُختلف المدن، وكانَ الأمويّونَ يتعمَّدونَ بأخذِ السبايا إلى هذهِ الأماكن حتَّى لو لم تَكُن في الطريق وإنَّما يقصدونها لأجلِ أن ينشروا الخبر، ولأجلِ أن يُهينوا العترةَ الطاهرة، ولأجلِ أن يُخيفوا النَّاس، أن يقولوا للنَّاسِ عترةُ مُحَمَّدٍ هكذا فعلنا بها فإيَّاكُم فاحذروا - **وَيَسْتَشْرِفُهُنَّ** - يَتفرَّجونَ عليهنَّ - **أَهْلُ الْمَنَاهِلِ وَالْمَنَاقِل وَيَتَصَفَّحُ وُجُوهَهُنَّ القَرِيبُ وَالبَعِيد وَالدَّنِيُّ وَالشَّرِيف** - أهلُ المناهلِ والمناقل هؤلاءِ هُم أهلُ الأسواق، **"يُطَافُ بِهِم فِي الأَسْوَاق"**؛ بموكبِ السبايا.
هذهِ أمثلةٌ، يُمكنني أن أستمرَّ في سَرد الأمثلة الَّتي أشارت إليها زيارةُ النَّاحيةِ المقدَّسة وليست مَعروفةٌ في كُتب السِّيَرِ والمقاتل، ولم تُذكَر في الروايات والأحاديث الَّتي بينَ أيدينا الَّتي صدرت مِنَ الأَئِمَّةِ قبلَ صُدُورِ زيارة النَّاحية المقدَّسة، مِن هُنا فإنَّ متنَ زيارة النَّاحيةِ المقدَّسة متنٌ ضروريٌّ جِدّاً، وأساسيٌّ جِدّاً في فهمِ العديدِ من الوقائع الَّتي وقعت في كربلاء.
اجمعوا هذهِ القرائن وهذهِ الملابسات اجمعوها، كي نستطيعَ أن نصلَ إلى موقفٍ صحيحٍ مِن واقعةِ عرس القاسم، لا أنْ نَهرِفَ بما لا نَعرِف.
هُناكَ مَن يَقول وبالتعبيرِ الشعبي العراقي: **"همه بيا حال ويسوون عرس للقاسم؟"**، يعني أنَّ الظروفَ الموضوعيّةَ لا تُساعدُ على القيامِ بِعُرسٍ للقاسم، هذا الكلامُ يكونُ مَنطقيّاً إذا قاموا بِعُرسٍ للقاسمِ كالأعراس الَّتي يُقِيمها النَّاسُ في ظروفهم الاعتياديّة، الَّذي جرى لم يَكُن عُرساً كالأعراس الَّتي يُقيمها النَّاسُ في حياتِهم اليوميّةِ الاعتياديّة، هُم عُطاشى لا يوجدُ ماء، أيُّ عرسٍ هذا الَّذي تَعترضونَ عليه؟! حكايةُ عرس القاسم حكايةٌ رَمزيَّةٌ، إذا أردنا أن ندرسَ تفاصيلَ عاشوراء هُناكَ أمرانِ واضحان في كُلِّ تفاصيلِ عاشوراء:
- الأوَّلُ: تجييشُ العواطف.
- والثاني: ترسيخُ المظلوميَّةِ وتأكيدُها.
وحينَ أتحدَّثُ عن تجييش العواطف لا أتحدَّثُ عن تجييش العواطفِ في لحظةِ عاشوراء في اليومِ نفسهِ، الإمامُ رَتَّبَ برنامجاً لتجييش العواطفِ عِبرَ القُرون، وعواطفُ النَّاسِ شَتَّى؛
- العواطفُ منها ما يَشتعلُ ويُسَجَّرُ لِظُلامة الأطفال.
- ومِنها ما يشتعلُ ويُسجَّرُ لِظُلامة النساء.
- ومِنها ما يشتعلُ ويُسَجَّرُ لِظُلم الإنسانِ للإنسان أن يَمنعهُ الماء، ومنها ومنها ومنها.
- ومنها ما يشتعلُ ويُسجَّرُ لِفتىً هو أجملُ مِن القمر، لقطعةِ حُسْنٍ وطُهرٍ مِن الإمام المجتبى، أتحدَّثُ عن القاسم الشَّهيد، أن يكونَ لهُ زَواجٌ رَمزيٌّ، هذا مَثَلٌ إنسانيٌّ، ولوحةٌ عاطفيَّةٌ يَرسِمُها الإمامُ الحسنُ والإمامُ الحُسَينُ في يوم الطفوف.

مِن وقائعِ كربلاء:
في (اللهوفُ في قتلى الطفوف) لابنِ طاووس، المتوفّى سنة (٦٦٤)، طبعةُ المطبعةِ الحيدريّة في النَّجف (١٩٥٠) ميلادي، الصفحةِ الأربعين بعدَ أن جمعَ الحُسَينُ أصحابهُ ليلةَ العاشر وقالَ ما قالَ لَهُم، محمَّد بنُ بشير الحضرمي مِن جُملةِ أصحابِ سَيّد الشُّهداء وصلهُ خَبَر مِن أنَّ ابنهُ قد وقعَ في الأسر؛ **وَقِيلَ لمحمّد بن بشير الحضرمي في تلكَ الحال** - وصلهُ خبر في الوقت الَّذي كانَ الحُسَينُ صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه يقولُ لأصحابهِ: أنتُم في حلٍّ مِن بَيعتي تفرَّقوا عَنّي فإنَّ القومَ لا يُريدونَ إلَّا قتلي، في تِلكَ الحال وصلَ الخبرُ لمحمَّد بن بشير الحضرمي: **قَد أُسِر ابنُكَ بِثغر الرَّي** - في حدود الرّي في إيران - **فَقالَ: عِند اللهِ أحتسبهُ ونَفسي ما كُنتُ أُحبُّ أن يُؤسَر وأنا أبقى بعده فَسَمِع الحُسَينُ قوله** - قولَ مُحمَّد بن بشيرٍ الحضرمي - **فقالَ: رَحمكَ الله أنت في حِلٍّ مِن بَيعتي فاعمل في فِكاك ابنك، فقالَ: أكلتني السِّباعُ حيّاً إنْ فارقتُكَ، قالَ: فاعطي ابنكَ هذهِ الأثواب** - يبدو أنَّ وَلدهُ كانَ مُرافقاً له - **قالَ: فاعطِ ابنكَ هذهِ الأثواب البرود** - أثوابٌ غاليةُ الثمن - **يستعينُ بِها في فداءِ أخيه، فأعطاهُ خمسةَ أثواب قيمتُها ألفُ دينار** - الحُسَينُ يُتابعُ كُلَّ صغيرةٍ وكبيرة، فمثلما يُتابعُ أَسْرَ أحدِ أولاد أصحابهِ ويُعطي الفِدية لأخيه ويأمُر أخاهُ أن يُغادِرَ كربلاء للسعي في فِكاكِ أخيهِ مِن الأسر، الحُسَينُ أيضاً كانَ يُراعي أناقتهُ هو، فلقد غَيَّرَ ملابسهُ أكثرَ مِن مَرَّة في يومِ عاشوراء، حتَّى حينما وصلت اللحظاتُ الأخيرة بعدَ مَقتلِ أنصارهِ ومقتل الهاشميّين طلبَ ثوباً مُتواضعاً كي لا يُسلَب مِنه بعدَ أن تُسلَب ثِيابَهُ لأنَّ ثِيابَهُ كانت ثمينةً، كانَ في غاية الأناقة وهو في تِلكَ

الحال، فجاءوه بِثُبَّانٍ فرفضَ الحُسَينُ أنْ يلبَسه لأنَّهُ مِن ثِياب المهانة، فطلبَ ثوباً عتيقاً وخَرَّقهُ ومَزَّقهُ ولَبِسَهُ تحت ثيابهِ الأنيقة تحتَ ثيابهِ الثمينة، الحُسَينُ كانَ يُراعي كُلَّ شيءٍ، كانَ يُراعي الأعداءَ كيفَ ينظرونَ إليه، وكانَ يُراعيني ويُراعي الأجيال ويُراعيكم كيفَ ستصلُ عاشوراءُ إليّ وكيفَ ستصلُ عاشوراءُ إليكم، نحنُ نتحدَّثُ عن حُسَينٍ لا نتحدَّثُ عن أيّ أحد، لقد رسمها بطريقةٍ لا نستطيعُ أنْ نتصوَّرَ دِقَّتها وجمالها وعَظمتها، جُزءٌ من هذهِ اللوحةِ العظيمةِ هذا العرسُ الرَّمزيُّ للقاسم الشَّهيد.

هُناكَ مَن يتحدَّثُ أيضاً عن بَناتِ الحُسَين ومِن أنَّ فاطمةَ العليلةَ بَقِيت في المدينة، ومِن أنَّ فاطمةَ الثانية مُتزوِّجة، ومِن أنَّ سُكَينة أو سَكِينة هي الأُخرى مُتزوِّجة، ومِن أنَّ الحُسَينَ ليسَ لهُ مِن بنات، هذا كلامٌ هُراء، فاطمةُ العليلةُ هي فاطمةُ الكُبرى وحكايتها خارجةٌ عن بحثنا هُنا، فاطمةُ العليلةُ بقيت في المدينِة لشأنٍ يرتبطُ بالإمامةِ لا لأنَّها مريضةٌ، مرضُها كانَ وجهاً ظاهراً للسَّببِ الَّذي بقيت من أجلهِ، مواريثُ النُبُوَّةِ ودلائلُ الإمامة ما كانت موجودةً في القافلة، أُعطيَ جُزءٌ منها لأُمِّ سَلَمة حتَّى حينما يأتي الجواسيسُ يعرفونَ أنَّ المواريثَ هذهِ عِندَ أُمِّ سَلَمة، لكنَّ المواريث الحقيقيَّة والأصليّة كانت عِندَ فاطمة الَّتي بقيت في المدينة والَّتي تُعرَفُ بالعليلة، هذا موضوعٌ خارجٌ عن بحثنا.

نحنُ لا نعرفُ كم كانَ للحُسينِ مِن البنات ولا يعرفُ ذَلكَ أحد، الأخبارُ الَّتي بينَ أيدينا مُتضاربة، فهؤلاءِ الَّذينَ يَتحدَّثونَ ويقولونَ مِن أنَّهُ ليسَ للحُسينِ مِن بنتٍ في سِنٍّ مُناسبٍ لسنِّ القاسمِ حتَّى يتزوَّجها، يقولونَ حتَّى لو كانت سُكينةُ ليست مُتزوِّجةً فهي كبيرةٌ في السن عُمرها لا يُناسِبُ عُمرَ القاسم كي يتزوَّجها، نحنُ لا نعرفُ أعمارَ بَنات الحُسَين، الحُسَينُ في كُتب السِّيَرِ عِندهُ العديدُ مِن البنات؛ رقيَّةُ مِن بناتهِ، اللبنانيّونَ في بعَلْبَك يعتقدونَ أنَّ خولة الَّتي لها مَزارٌ هُناك هي بنتُ الحُسين، وعِندهم من القرائنِ الَّتي تُثبِتُ هذا ويعتقدونَ أنَّها تُوفيت حينما مَرَّ السَّبيُ مِن هُناكَ، وفعلاً مَرَّ السَّبيُ مِن هُناك، كُتُبُ التأريخِ وكُتبُ السِّيَر تُثبِتُ هذا، ومن الأماكن الَّتي أوذيت فيها عائلةُ الحُسين في بعَلْبَك فقد خرجَ النَّاسُ فَرِحينَ بمقتلِ الحُسَين، ودَعت عليهم العقيلةُ زينب دُعاءً معروفاً.

وفي روايةِ عرس القاسم لم يَرد ذِكرٌ لاسمِ بنت الحُسين الَّتي تزوَّجها القاسِم وإنَّما الروايةُ هكذا قالت: (زَوَّجهُ الحُسينُ البنت الَّتي كانت مُسمَّاةً لهُ)، هذا شأن أسريٌّ، فهذهِ بِنتٌ للحُسينِ قد سُمِّيت للقاسم، الروايةُ ما ذكرت اسم البنت وإنَّما قالت هي بِنتٌ من بنات الحُسَينِ مُسمَّاةٌ للقاسم، فهذا الكلامُ الَّذي يُردِّدهُ البعض مِن أنَّهُ ليسَ هُناكَ مِن بِنتٍ يكونُ عُمرها مُناسباً لِعُمر القاسم، نحنُ لا نملكُ معلوماتٍ دقيقةً عن عددِ بنات الحُسَين، وعن أسماءِ بنات الحُسَين، وعن أعمارِ بنات الحُسَين، المعلوماتُ مُتضاربةٌ..

فهذانِ الإشكالانِ اللَّذانِ يعتبرهُما البعض من أقوى الإشكالات ما هُما بإشكالينِ مُهمَّين.

قد يقولُ قائلٌ: **هذهِ الواقعةُ أينَ مَصادِرُها؟!**

سأذكرُ لكُم ما أعرفهُ مِن مصادرها:

(إكسيرُ العبادات في أسرار الشهادات) لأغا الدربندي، اسمهُ أغا وليسَ لقباً، مِن علماء الشيعةِ المعروفين، في الجزء الثاني، من كُتب المقاتلِ المعروفة والَّتي تُشَنُّ عليها الحملاتُ مِن قِبلِ أصحابِ العمائمِ الطوسيَّة، مع أنَّ الرجلَ كانَ مِن فُقهاء النَّجف، طبعةُ دارِ ذوي القربى/ الطبعةُ الأولى/ ١٤٢٠ هجري قمري/ قم المقدَّسة/ صفحة (٣٠٥) وما بعدها صفحة (٣٠٦)، الدربندي ذكرَ حكايةَ عُرس القاسم، وقالَ في بدايةِ كلامهِ: **ولا يخفى عليك** - يُخاطِبُ القارئ - **أنَّهُ قد نُقِلَ كيفيَّةُ شهادة القاسمِ على نهجٍ آخر** - ثُمَّ نَقلَ نقلاً آخر وهو الَّذي يتضمَّنُ واقعةَ عُرس القاسم - **وذلكَ أنَّهُ قد ذُكِرَ في جُملةٍ مِن كُتب المقاتل ومنها المنتخب** - أشارَ إلى كتابٍ واحد، بقيَّةُ الكتب لم يذكر أسماءها، المنتخب هذا كِتابُ مجالس لأحدِ عُلماء الشيعة إنَّهُ فخرُ الدين الطريحي، كثيرون يتصوَّرونَ أنَّ السَّببَ في انتشارِ هذهِ الحكاية هو أغا الدربندي، والحال فإنَّ الرجلَ قد نقلَ الكلامَ من كُتبٍ كُتبت قبلهُ.

مصدرٌ آخر: (معاجزُ آل البيت)، الكتابُ الَّذي عنوانهُ المشهور (مدينةُ المعاجز)، وقد يُعنونُ بالعنوان الثاني (معاجزُ آلِ البيت)، الجزء الثاني، طبعةُ مؤسَّسة النعمان/ بيروت - لبنان/ للمُحدِّث المعروف هاشم البحراني، إنَّهُ صاحبُ كتاب البرهان، (البرهان في تفسير القُرآن)، هاشمُ البحراني ذكرَ حكايةَ عُرس القاسِم أيضاً صفحة (٢٣٢)، وصفحة (٢٣٣)، وفاتهُ (١١٠٧)، أقدم من صاحب أسرار الشهادات، نقلَ الروايةَ عن كتاب الفخري، الفخري هو نفسهُ المنتخب، يُسمَّى بالفخري نسبةً إلى مُؤلِّفهِ فخر الدين الطريحي، المصدرُ الَّذي نَقلَ مِنهُ أغا الدربندي هو المنتخب، والمصدرُ الَّذي نقلَ مِنهُ هاشمُ البحراني هو الفخري الَّذي هو المنتخب.

كتاب المنتخب مكتوبٌ عليهِ: (المنتخب للطريحي)، ثُمَّ يوضع العنوان الثاني: (الفخري) نسبةً إلى مؤلِّفه فخر الدين الطريحي، الطُريحي توفّي سنة (١٠٨٥) للهجرة، يعني فيما بيننا وبينهُ (٣٥٩) حتَّى تعرفوا من أنَّ الواقعةَ ليست حديثةً كما يقول البعض من أنَّها نشأت في القرن العشرين، تُلاحظونَ أنَّ الحكايةَ موجودةٌ في كُتبٍ هي أقدمُ من زماننا بكثير.

الطريحي لم يذكُر اسمَ المصدر الَّذي نقلَ عنه، وإنَّما قالَ في صفحة (٣٦٥) مِن طبعة انتشارات الشريف الرَّضي/ ١٤٢٢ للهجرة/ الطبعةُ الثالثة/ قم المقدَّسة/

هُناكَ كتابٌ مَعروفٌ ومشهورٌ باللغةِ الفارسيّة (روضةُ الشُّهداء)، للملّا حسين كاشفي، طبعةُ انتشارات إسلاميّة/ طهران - إيران/ وقد تُرجِمَ إلى اللغةِ العربيّة، تُوجد لهُ ترجمةٌ باللغةِ العربيّة لكنَّني جِئتُ بالنسخةِ الأصليّة، بحسبِ الطبعة الَّتي أشرتُ إليها صفحة (٣٢٠) حينما تَعرَّضَ لذكرِ شهادةِ القاسمِ صلواتُ اللهِ عليه نَقلَ الحكايةَ في صفحة (٣٢١)، وصفحة (٣٢٢) الحكايةُ هي هي الَّتي ذكرها صاحبُ المنتخب، لكنَّ كتابَ الروضة باللغةِ الفارسيّة، أمَّا المنتخب فهو باللغةِ العربيّة، لكن لابُدَّ أن نعرفَ مِن أنَّ الطريحي في المنتخب لم يُشِر إلى كتاب (الروضة)، توفّي مُؤلِّفُ هذا الكتاب سنة (٩١٠) للهجرة، قبلَ الطريحي، حسين الكاشفي توفّي سنة (٩١٠) يعني بيننا وبينَ وفاتهِ (٥٣٤) سنة، قطعاً الكتابُ أُلِّفَ قبلَ تأريخ الوفاة، وقطعاً الكاشفي لم يكُن قد أَلَّفَ الحكايةَ مِن عِندِ نفسهِ وإنَّما نقلها عن مصدرٍ آخر، هو لم يذكر المصدر.

يُشْكِلُ البعض على أنَّ الكاشفي لم يكُن شيعيَّاً لِماذا؟ لأنَّهُ ذَكرَ في كُتبهِ ومُؤلَّفاتهِ أراء المخالفين، إذا كانَ القياسُ هذا فَكُلُّ مراجع الشيعةِ ما هم بشيعة، لأنَّ كُتبهم مشحونةٌ مِن حيث يعلمون ومن حيث لا يعلمون بثقافة المخالفين..

إذاً الحكايةُ هذهِ عِندنا مِن القرائنِ والشواهدِ أنَّها كانت مَوجودةً ومعروفةً وفي كُتبنا الشيعيَّة إلى ما قبلَ ستمئة سنة، لابُدَّ أن تعرفوا من أنَّ كِتابَ (روضة الشُّهداء) هو الكتابُ المركزيُّ عِندَ الإيرانيّين في إقامةِ مَجالس العزاء الحُسَيني في القرون المتقدِّمة، وحتَّى إلى الآن قُرَّاء العزاء يعتمدونَ عليه، وكِتابُ (المنتخب) أيضاً كانَ مُعتمداً عِندَ قُرَّاء العزاء في العراقِ والبلاد العربيّةِ كبلاد الخليج يعتمدونهُ في إقامةِ مجالس العزاء الحُسينيّ، فالقضيَّةُ مَشهورةٌ لا يعني أنَّها كانت موجودةً في كتابِ هذا الكتابُ ليسَ مُتداولاً وإنَّما قد خُزِن في رفوف المكاتب، الآن لَمَّا نقول عن الخطيب روزخون في التعابير الشعبيَّةِ في العراق يقولونَ عن الخطيب الحُسيني (ريزخون)، روزخون هذهِ كلمةٌ فارسيّة، يعني هو قارئُ كِتاب (الروضة)..

مَقصدي مِن إيرادِ هذهِ المعلومات؛ أنَّ حكايةَ عُرس القاسم لم تَكُن قد نشأت في القرن الماضي، وإنَّما كانت في القرون الماضية، كانت موجودةً بدليلِ وجودها في هذهِ الكُتب.

توفّي الكاشفي سنة (٩١٠)، قطعاً أَلَّفَ الكِتاب قبلَ تأريخِ وفاتهِ، وقطعاً نقلَ عن مصدرٍ كانَ موجوداً بنحوٍ أقدم من وجودِ الكاشفي نفسهِ، هذا يعني أنَّ الحادثةَ كانت مَوجودةً ومعروفةً ومُتناقلةً في الأوساط الشيعيَّة وفي مجالسهم قبلَ أكثر مِن ستمئة سنة..

ما جاء في كتابِ المنتخب للطريحي المتوفّى سنة (١٠٨٥) للهجرة، ولا ندري مِن أينَ قد نقل هذهِ الحكاية ورُبَّما ترجمها عن روضة الشُّهداء للكاشفي: **ونُقِل أيضاً؛ لَمَّا آلَ أمرُ الحُسَين إلى القِتالِ بكربلاء وقُتِل جميعُ أصحَابِه وَوَقعت النَّوبَةُ على أولادِ أَخيه جاء القَاسِمُ بنُ الحَسَن وقَالَ: يا عَمّ، الإجازةَ لأمضي إلى هؤلاءِ الكَفَرة** - أَجزني - **فَقالَ لَهُ الحُسَين: يا ابْنَ الأَخ، أَنْتَ مِن أَخِي عَلامةٌ وأريدُ أنْ تَبقى لأتسلَّى بك، ولم يُعطِهِ إجازةً للبِرَاز، فَجلسَ مهموماً مغموماً** - جلسَ القَاسمُ - **مهموماً مغموماً باكي العين حزينَ القَلب، وأجازَ الحُسينُ إخوتهُ للبِرَاز** - إخوة القاسم - **واستُشهِدوا ولم يُجزه، فجلسَ القَاسِمُ مُتألِّماً ووضع رأسهُ على رجليه، وذكرَ أنَّ أباهُ قد ربطَ لهُ عُوْذَةً في كَتِفِه الأيمن** - والعَوْذَةُ هي حِرزٌ يُكْتَبُ فيه ما يُكتَبُ مِن الاستعاذات - **وقالَ لهُ: إذا أصابكَ ألمٌ وهَمٌّ فَعليكَ بِحَلِّ العَوْذَةِ وقِراءتِها وَفَهْمِ مَعناها، واعْمل بِكُلِّ ما تراهُ مكتوباً فيها** - هذا هو الَّذي قُلتهُ لكم إنَّها لوحةٌ رسمها الحَسَنُ والحُسَين - **فقالَ القَاسِم لِنفسهِ: مضى سِنينُ عَلَيَّ ولم يُصبِني مِن مثل هذا الألم فحلَّ العَوْذَة وفَضَّها ونَظَرَ إلى كِتابَتِها وإذا فيها: يَا وَلَدي قَاسِم، أُوْصِيكَ إنَّكَ إذا رأيتَ عَمَّك الحُسَين في كربلاء وقَد أحاطَت بِهِ الأعداء فلا تَترك البِرازَ والجهادَ لأعداء رسول الله ولا تَبْخل عليهِ بِرُوحك، وكُلَّما نَهاكَ عن البِراز عاودهُ ليأذَنَ لَكَ في البِراز لِتَحظى في السعادةِ الأبديّة** - هذهِ قطعاً التعابيرُ تعابيرُ المؤلِّف، هذا التعبيرُ وهذا اللحنُ ما هو بلحنِ الأئِمَّةِ المعصومين ما هو بلحنِ إمامِنَا الحَسَن، هذهِ التعابيرُ تعابيرُ المؤلِّف، رُبَّما ترجمها عن روضة الشُّهداء، ورُبَّما نقلَها هكذا مِن مصدرٍ عربيٍّ آخر، ورُبَّما سَمِعها وهو صَاغَها بهذهِ الصياغة - **فقامَ القاسمُ مِن ساعتهِ وأتى إلى الحُسَين وعَرضَ ما كَتَبَ الحَسنُ على عَمِّهِ الحُسين، فلمَّا قَرأ الحُسَين العَوْذَة بكى بُكاءً شديداً ونادى بالويلِ والثُبور وتَنفَّسَ الصُّعداء** - نادى بالويلِ والثُّبور أي رفعَ صوتهُ صَارِخاً عالياً - **وقَالَ يا ابنَ الأخ، هذهِ الوصيَّةُ لكَ مِن أبيك وعندي وصيَّةٌ أُخرى منهُ لك ولابُدَّ مِن إنفاذِها، فمسكَ الحُسينُ على يدِ القاسم** - أنا أقرأ النصَّ كما هو، هُناكَ خللٌ في التعابير، خللٌ أدبيٌّ واضح - **وأدخلهُ الخيمة وطَلَبَ عَوناً وعبَّاساً** - عوناً وعبَّاساً إنَّهم مِن أبناءِ أمير المؤمنين صلواتُ اللهِ على أمير المؤمنين - **وقالَ لأُمِّ القاسم لَيسَ للقاسمِ ثِيابٌ جُدد؟ قالت: لا، فقالَ لأُختهِ زينب: أيتني بالصندوق، فأتتهُ به وَوُضِعَ بينَ يديه** - بينَ يدي الحُسين - **ففتحهُ وأخرج منهُ قَباءَ الحَسَن** - القباءُ هو الثوب الَّذي يُلبَسُ على الثياب - **وألبسهُ القاسم ولَفَّ على رأسهِ عِمَامةَ الحَسَن ومَسَكَ بيد ابنتهِ الَّتي كانت مُسمَّاةً للقاسم** - لم يُذكَر اسمها - **فعقدَ لهُ عليها، وأفردَ لهُ خيمةً وأخذَ بِيَد البِنت ووضعها بيد القاسم وخرجَ**

عنهُما، فعادَ القاسمُ ينظرُ إلى ابنة عمّه ويبكي، إلى أنْ سَمِع الأعداءَ يقولون: هل مِن مُبارِز فرمى بيد زوجتهِ وأرادَ الخُروج وهي تقولُ لهُ: ما يخطرُ بِبالك وما الَّذي تُريد أن تفعلهُ؟ قال لها: أريدُ مُلاقاة الأعداء فإنَّهم يطلبون البِراز وإنِّي أُريدُ مُلاقاتهم، فلزمتهُ ابنةُ عَمّه فقالَ لها: خَلِّي ذيلي - لأنَّها أمسكت بأذيالِ قبائهِ - **فقالَ لها: خَلِّي ذيلي فإنَّ عُرسنا أخَّرناهُ إلى الآخرة، فصاحت وناحت وأنَّت مِن قَلبٍ حزين ودُموعها جاريةٌ على خَدّيها وهي تقول: يا قاسمُ أنت تقول عُرسُنا أخَّرناه إلى الآخرة وفي القِيامةِ بأيِّ شيءٍ أعرفك وفي أيِّ مكانٍ أراك؟ فمسكَ القَاسمُ يَدهُ** - في روضة الشُّهداء الكلامُ يختلفُ عن الكلام الَّذي قالهُ القاسم، هُناكَ زيادةٌ (مِن أنَّكِ ستجديننني عِندَ أبي وجدي)، وجاء بقيَّة الكلام، إمَّا أنْ يكونَ الكلامَ قد سقط مِن نُسخة المنتخب، وإمَّا هذا الاحتمالُ ليسَ صحيحاً مِن أنَّ الطريحي قد ترجمها عَن روضة الشُّهداء - **فمسكَ القاسِم يَدهُ وضربها على رِدنهِ وقطعها وقالَ: يا ابنة العَم، اعرفيني بهذهِ الردن المقطوعة، قالَ: فانفجعَ أهلُ البيت بالبُكاء لفعلِ القاسم وبكوا بُكاءً شديداً ونادوا بالويلِ والثُّبُور** - وبهذا تنتهي الروايةُ الَّتي جاءت في المنتخب ونقلها هاشمُ البحراني في مدينة المعاجز، ونقلها أيضاً أغا الدربندي في إكسير العبادات في أسرار الشهادات، وهي هي بنفسها موجودةٌ في روضة الشُّهداء للملّا حسين الكاشفي ولكنَّها باللغةِ الفارسيّة مع اختلافٍ قليلٍ في آخرِ الروايةِ والحكاية.